

ماهية الدلالة الصوتية

أ. محمد الأمين

خويلد

جامعة ورقلة

الجزائر

1- الصوت لغة و اصطلاحاً : الصوت لغة "مصدر صات الشيء يصوت صوتاً فهو صائت و صوت تصويتاً فهو مصوت، وهو عام و لا يختص، يقال صوت الإنسان وصوت الحمار، وفي الكتاب الكريم: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (1)" (2).

أما من الناحية الاصطلاحية ، فيعرفه الشريف الخرجاني بأنه " كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ " (3) ، و لذلك " فهو مدرك بحاسة السمع " (4) عن طريق تلك الذبذبات الناتجة عن التموج المتسبب عن القرع أو القلع (5) ، و عليه يمكن تعريف الصوت بالمعنى العام - الذي يشمل اللغوي و غير اللغوي - بأنه " الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة ، حتى و لو لم يكن مصدره جهازاً صوتياً حياً ، فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات ، و كذلك الحس الإنساني صوت " (6) .

و موضوع علم الأصوات : هو الصوت اللغوي الصادر عن جهاز النطق الإنساني (7) ، و الصوت اللغوي ذو جانبيين ، أحدهما عضوي و الآخر صوتي ، ويتصل الأول بعملية النطق ، و الثاني بصفته ، و "عملية النطق هذه تحدث في أية نقطة مما بين الشفتين، و الأوتار الصوتية في الجهاز النطقي الإنساني" (8)، ويكون خروج الصوت مستطيلاً مع الهواء حتى يعرض له في الحلق و الفم والشفيتين ما يثنيه عن ذلك الامتداد ، و يختلف الصوت باختلاف المقاطع التي تعترضه (9) ، و يسمى الموضع الذي يحبس فيه الهواء أو يضيق فيه مجراه مخرجاً

وهو مكان النطق (10) ، فإذا تناولت الدراسة اللغوية الأصوات من حيث كونها أحداثاً منطوقة لها تأثير سمعي ، و ركزت على المادة الصوتية بوصفها ضوضاء كذلك هذا مجال الصوتيات و إذا كان التركيز على وظائف الصوت في اللغة كان مجال علم وظائف الأصوات (11) .

و الحرف غير الصوت ، إذ أن الأول يمثل عائلة صوتية واحدة ، أما الثاني تنوع من تنوعاته و مظهر من مظاهره التي تتجلى عند الاستعمال و " من المعروف أن حروف الهجاء الصحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون ، و أن حروف العلة ثلاثة ... فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد و ثلاثون حرفا بناء على هذا الفهم ، أما أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك " (12).

أما إذا تأملنا عملية الكلام فإننا نجدها تنتظم في خمس خطوات أو أحداث متتالية مترابطة يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم و السامع في أبسط موقف من المواقف اللغوية ، و هذه المراحل أو الأحداث بترتيب وقوعها ، هي (13):

- (1)- الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام وأثناءه .
- (2)- عملية إصدار الكلام ، و التي تتمثل في أصوات ينتخبها ذلك الجهاز المسمى جهاز النطق .
- (3)- الموجات و الذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم و أذن السامع ، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي .
- (4)- العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي (لدى السامع) بوصفها ردة فعل مباشرة لتلك الموجات .
- (5)- العمليات النفسية و الأحداث التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام .

و انطلاقاً من هذا يمكننا القول : إن اللغة من حيث كونها مجموعة من العلامات أو الرموز " هي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني و التي تدركها الأذن . هذه الأصوات التي تؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالات إصلاحية " (14) .

إن المتكلم - بأية اللغة كانت - لا يستعمل الأصوات مفردة مفككة ، بل إنه يؤلف بينها في وحدات أكبر هي الكلمات التي توظف - بعد ذلك - في العبارات و الجمل (15) ، فلا يطلق مصطلح الكلمة - في أية لغة - إلا على ما أمكن اثتلافه من الحروف . و وضعه الواضع بإزاء معنى مخصوص ، و هو ما أطلق عليه العلماء الأوائل مصطلح (المستعمل) . و ما لم يدل على معنى من الحروف المؤلفة يسمى لفظا و عليه فإن الكلمة أخص من اللفظ ، لأن اللفظ يكون دالا و غير دال (16) .

إن الحديث عن الألفاظ الدالة في اللغة يقودنا إلى التفرقة بين عنصرين في الدليل اللغوي : أحدهما الدال ، و هو اللفظ المسموع الذي يمثل الصورة الصوتية ، و الثاني المدلول الذي المفهوم أو المعنى أو الصورة الذهنية ، و كثير ما تساءل اللغويون - منذ القدم - عن طبيعة العلاقة بين الدال و المدلول ، أهى ذاتية موجبة أم اصطلاحية ؟ و إن كان الأمر قد حسم و انتهى إلى القول بعدم خضوع الأصوات الإنسانية إلى أي نظام عقلي منطقي في تكوينها و صدورها و النطق بها (17) ، و لاشك أن الذين ينكرون الصلة الموجبة بين الألفاظ و المدلولات هم الأقرب إلى فهم الطبيعة اللغوية (18) ، بل إن " أساس الاختلاف بين لغة و أخرى إنما يعود إلى العلاقة الاعتبارية بين الدال و المدلول " (19) .

و إذا تحدثنا عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي فلا ينبغي أن يتوهم من ذلك أنه تأكيد لفكرة الصلة الذاتية الموجبة بين الألفاظ و المدلولات ، لأن

الحديث عن الدلالة التي تساهم فيها الأصوات - التي تتألف منها الألفاظ - لا يعني مخالفة ما استقر عليه علماء اللغة من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرفية إصطلاحية ، و إن كانت بعض الكلمات - على قلتها - تتجلى فيها ، بعض الروابط الطبيعية بين الألفاظ و المدلولات عن طريق الأصوات ، مما قد يثير شيئا من اللبس في هذه المسألة ، و لكي نزيل هذا اللبس ، و نخلص إلى تحديد دقيق لمفهوم الدلالة الصوتية ، كما أقره فقهاء اللغة ، لا بأس أن نبين طبيعة العلاقات المختلفة التي تربط بين أصوات الكلمات العربية و معانيها.

2/- أنواع الصلة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها :

إذا تأملنا مفردات اللغة فإننا نجد صورا عديدة و مظاهر مختلفة ترتبط فيها أصوات الكلمة بالمعاني التي يعبر عنها بها ، و قد لخصها فقهاء اللغة في طائفتين من الروابط ، الأولى تقوم على أساس المحاكاة ، و الثانية على أساس الاشتقاق (20). أما علاقة المحاكاة فتمثلها الألفاظ التي تعكس أصواتها اللغوية الأصوات المسموعة من الطبيعة " فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان ، و الحيوان و الأشياء و بعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره ، تحاكي أصواتها أصوات الظواهر التي تعبر عنها " (21) .

فمن الكلمات الدالة على أصوات الإنسان القهقهة و التمنطق و التأوه ، و من الكلمات الدالة على أصوات الحيوان المواء و العواء و الصهيل و الزئير ، و من الكلمات الدالة على أصوات الأشياء خرير الماء و حفيف الشجر ، و من الكلمات الدالة على أفعال الإنسان أو غيره القطع و القطف و القضم ... (22) ، و شئ بديهي " أن في كل اللغات ألفاظ مستوحاة من الطبيعة أو محاكية إياها فيما تحدثه من أصوات ، و هذه المحاكاة هي أقوى مظهر للمناسبة بين الألفاظ و مدلولاتها " (23) .

و يرجع السبب في هذه العلاقة إلى النشأة الأولى للغة الإنسانية التي نشأت في - أرجح الأقوال - من " محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات و الأشياء ، و للأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها ، فلا غرابة إذاً أن يبقى في كل لغة بعض كلمات تمثل الأصل الأول الذي انحدرت منه اللغات " (24) .

أما ارتباط أصوات الألفاظ بالمعاني عن طريق الإشفاق فهو ناشئ عن الاتفاق و التوافق لا على أساس حكاية المسموع من أصوات الطبيعة ، و هو أقسام ثلاثة : صغير و كبير و أكبر .

فإذا لاحظنا اشتقاقات المادة الصوتية الأساسية لأية كلمة ، فإننا نجد أنها جميعاً توحى بالمعنى الأساسي للأصل الذي أخذت منه " ألا ترى أنك تحيي إلى (الضرب) الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فتقول : ضرب ، ثم تشتق منه المضارع ، فتقول : يضرب ، ثم تقول في اسم الفاعل : ضارب " (25) فجميعها يوحي بمعنى الأصل و هو (الضرب) ، و ذلك لاحتواء كل منها على المادة الصوتية الأصلية بالترتيب نفسه ، و هي (ض . ر . ب) ، و هذا النوع من الاشتقاق يعرف بالاشتقاق المـ خـير أو الأصغر أو العام ، و هو " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى و مادة أصلية ، و هيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا خوفاً أو هيئة ... و طريق معرفة تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ " (26) .

فقد " تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغة في أصول ثلاثة معينة ، فتكون فاء الكلمة وعينها و لامها فيهن واحدة ، و هذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم الاشتقاق . و في المعجم تحت اسم الاشتراك في المادة " (27) ، و يعني أن يعلم أن بين التصريف و الاشتقاق نسبا قريباً و اتصالاً شديداً ، و أنه لا

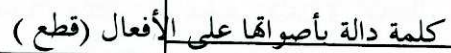
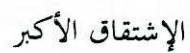
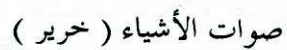
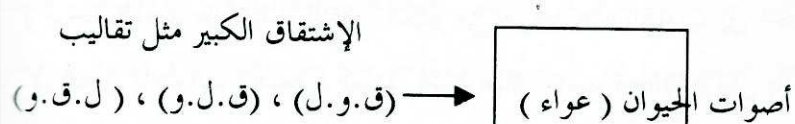
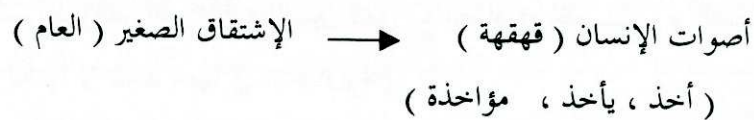
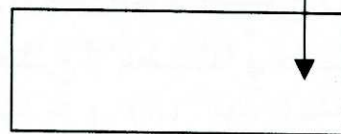
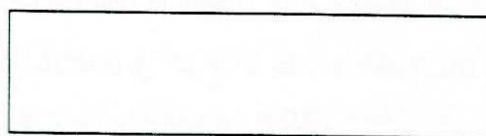
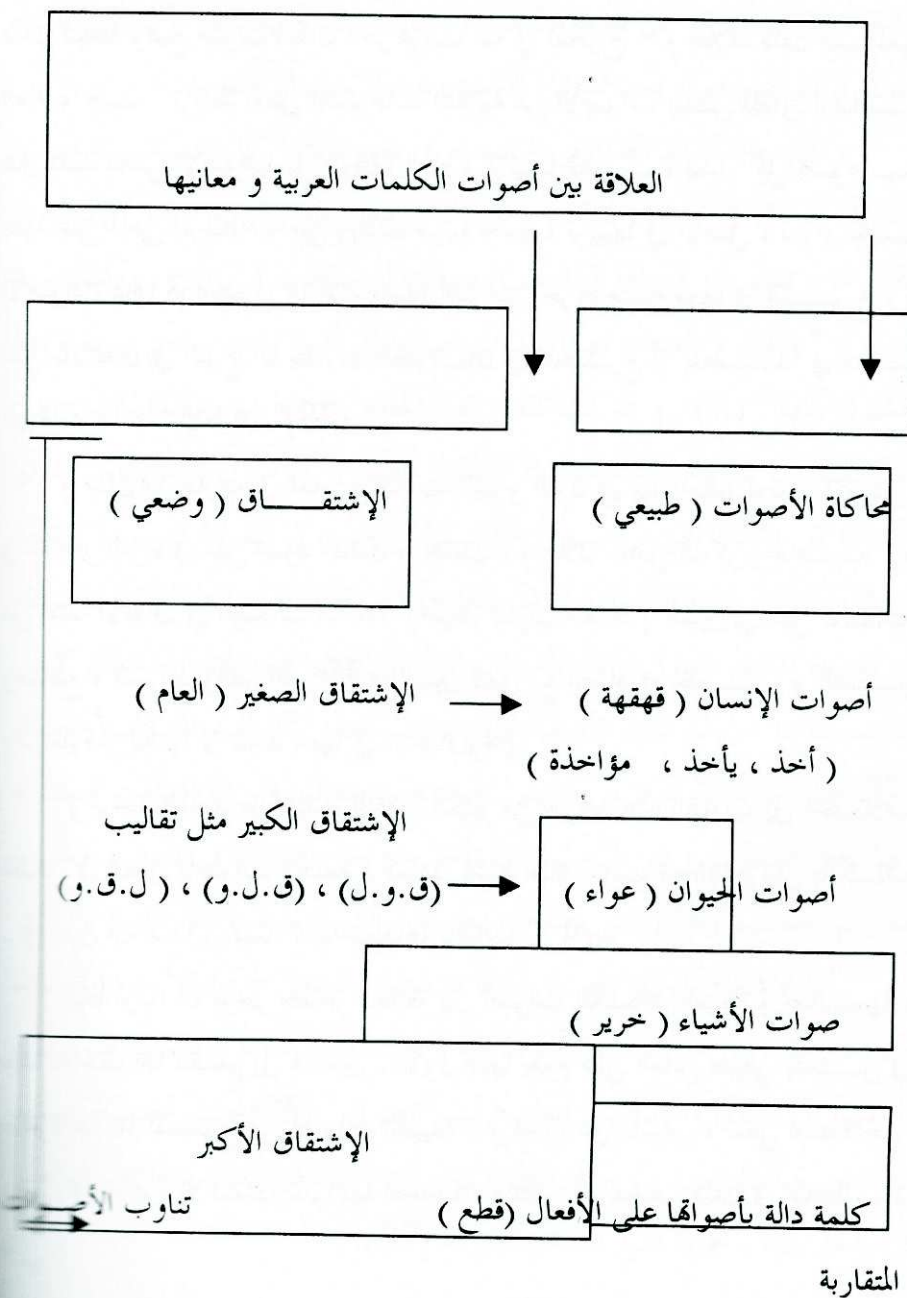
أما الاشتقاق الأكبر فإنه يعني بملاحظة التغير الصوتي في بعض الكلمات - و ذلك نتيجة وضع صوت مكان آخر قريب منه في المخرج - و علاقة ذلك بالمعنى العام ، حيث " ترتبط بعض المجموعات الثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام و ترتيبها فحسب ، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل ، سواء أ بقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع ، و تعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق " (38).

و مثال ما تقارب في المخرج تناوب الميم و النون في مثل امتقع لونه و انتقع ، و اللام و النون في مثل أسود حالك و حانك ، و فلان حامل الذكر وخامنه ، و من أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد و السين في مثل ساطع و صاطع ، السراط و الصراط (39)، فالسين تتفق مع الصاد في الهمس و الصفير و الرحاوة و لكنها لا تتحد معها في الإطباق (4).

و يرجع العديد من علماء اللغة " الكثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القائل في النطق بأصوات الكلمة ، فمادة كشط مثلاً كانت تنطقها قريش بالكاف في حين أن أسدا و تميما كانتا تنطقانها بالقاف " (4).

فإذا أردنا أن نوجز مظاهر العلاقة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها ، فلنلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين . الأول منها يقوم على أساس طبيعي يتمثل في ظاهرة محاكاة المسموع من أصوات الطبيعة ، و الثاني على أساس وضعي اصطلاحي يظهر في ظاهرة الاشتقاق بأنواعها المتعددة ، ويمكن أن نلخص ذلك في المخطط

- مخطط يحدد طبيعة العلاقة بين أصوات الكلمات ومعانيها -



المقاربة

3- التحديد الدقيق لمصطلح الدلالة الصوتية :

إن فقهاء اللغة لا يطلقون مصطلح الدلالة الصوتية إلا على جانب محدد من الجوانب التي تعكس العلاقة بين أصوات الكلمة العربية و معانيها , حيث يتجلى أثر مساهمة الصوت في المعنى بما له من خصائص تميزه عن غيره في السمع , وهو ما يعرف بالقيمة التعبيرية للصوت , و لا تتجلى هذه القيمة إلا في مظهرين اثنين، هما : الاشتقاق الكبير و الاشتقاق الأكبر و كلاهما قائم على أساس وضعي .

و الحديث عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي , لا يعني مخالفة ما استقر عليه البحث العلمي من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرفية اصطلاحية، بل إنه يشير إلى مقدار الدلالة التي يساهم بها الصوت , من خلال الخواص التي يتميز بها عن سواه , داخل البناء اللفظي - الوارد فيه - الذي وضع وضعاً اصطلاحياً عرفياً مما يحدث شيئاً من التلاحم بين اللفظ وما يدل عليه .

و يرجع الفضل في هذه الدلالة إلى إشار صوت على آخر , أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به , إذا هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات , و هو ما يطلق عليه اسم الدلالة الصوتية , و يمكن التمثيل لها بكلمة (تنضح) , فهي تعبر عن تدفق السائل في قوة , و عنف , و هذه إذا قورنت بنظيرتها (تنضح) , التي تدل على تسرب السائل في تودة , و بطف , تبين لنا أن صوت الحاء في الأولى له دخل في دلالتها , فقد أكسبها تلك القوة و ذلك العنف مقارنة بحرف الحاء في الثانية (42) .

و لا يمكن أن نتصور - بأي حال من الأحوال - أن الصوت يساهم بتلك الدلالة و هو مجرد غير مركب في بناء لفظي , فالوحدات الصوتية " لا معنى لها بمحداتها " (43) , و إنما اكتسابها لتلك القيمة التعبيرية " ناتج عن تلك المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ و دلالاتها " (44) .

و عليه فإن الدلالة الصورية متأنية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي وإثارة على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في المحل نفسه ، إذا فهي ترتبط بالقدرة على استخدام البعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة " (45) .

الهوامش

- 1- سورة لقمان الآية 19.
- 2- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، (دط) ، 1969م ، ص: 5 ، اراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف الشاء ، مادة (صوت) ، ص: 58-57 .
- 3- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة ، لبنان ، بيروت ، (دط) ، 1990م ، ص: 130 .
- 4- سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص: 6 .
- يراجع : أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق عبد الدين الخطيب مطبعة المويبد ، القاهرة (دط) ، 1332هـ ، ص: 4 .
- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (دط) 1986 م ، ص : 67 .
- 5- اراجع : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د . محمود السعران ، ص : 98 .
- 6- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 71-72 .
- 7- اراجع سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 16 .
- 8- اراجع : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 110 .
- 9- اراجع : علم اللغة العام - الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر (دط) 1973 ص: 29 .
- 10- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 116 .
- 11- علم اللغة العام (الأصوات) ، د . كمال محمد بشر ، ص : 9 .
- 12- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د . محمود السعران ، ص : 63 .
- 13- اراجع : المرجع نفسه ، ص: 187 .
- 14- اراجع : شرح المفصل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، دط ، ج: 1 ، ص : 18-19 .

و عليه فإن الدلالة الصوتية متأتية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي و إثارة على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في المحل نفسه ، إذا فهي ترتبط بالقدرة على استخدام البعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة " (45) .

الهوامش

- 1- سورة لقمان الآية 19.
- 2- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، (دط) ، 1969م ، ص: 5 ، يراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف التاء ، مادة (صوت) ، ص: 57-58 .
- 3- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة ، لبنان ، بيروت ، (دط) ، 1990م ، ص: 130.
- 4- سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 6 .
- يراجع : أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق محب الدين الخطيب مطبعة المؤيد ، القاهرة (دط) ، 1332هـ ، ص : 4 .
- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسن ، الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د ط) 1986 م ، ص : 67 .
- 5- يراجع : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د . محمود السعران ، ص : 98 .
- 6- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 71-72 .
- 7- يراجع سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 16 .
- 8- يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 110 .
- 9- يراجع : علم اللغة العام - الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر (د ط) 1973 .
- ص: 29 .
- 10- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 116 .
- 11- علم اللغة العام (الأصوات) ، د . كمال محمد بشر ، ص : 9 .
- 12- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د . محمود السعران ، ص : 63 .
- 13- يراجع : المرجع نفسه ، ص: 187 .
- 14- يراجع : شرح المفصل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، د ط ، د ت ، ج: 1 ، ص : 18-19 .

- 15- يراجع: من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (ط 7) ، 1994 ، ص: 140 .
- 16- يراجع : المرجع نفسه، ص : 144 .
- 17- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزبيدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، (د ط) ، 1984 ، ص : 59 .
- 18- يراجع : فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 175 - 186 .
- 19- المرجع نفسه ص : 175 .
- 20- يراجع : المرجع نفسه ، ص 175 - 176 .
- 21- محاضرات في فقه اللغة ، د . زبير درافي ، ص : 32 .
- 22- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 177 - 178 .
- 23- المنصف ، ابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، البابي الحلبي (د ط) - (د ت) ، ج : 1 ، ص : 4 .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد الجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت (د ط) - (د ت) ، ج : 1 ، ص : 346 .
- 24- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب (د ط) 1986 ، ص : 166 .
- 25- يراجع : المنصف ، ابن جني ، ج : 1 ، ص : 2 - 3 .
- النظرية الخليلية الحديثة ، د . عبد الرحمان الحاج صالح ، مجلة اللغة والآداب ، جامعة الجزائر ، 1996 ، العدد : 10 ، ص : 94 .
- 26- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 70 .
- 27- دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (ط 11) ، 86 ، ص : 177 .
- 28- يراجع : فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 73 .
- 29- يراجع : دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص : 175 .
- 30- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير، المطبعة البهية، مصر (د ط) 1894، ص : 292 .
- 31- يراجع : فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 179 .
- 32- دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص : 186 .
- 33- يراجع : المزهر ، السيوطي ، ج : 1 ، ص : 347 .

- 34- فقه اللغة ، عليّ عبد الواحد وافي ، ص : 184 .
- 35- يراجع : المرجع نفسه ، ص : 184-185 .
- 36- يراجع : سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق : مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ، (ط 1) ، 1954 ، ج : 1 ، ص : 68-70 .
- 37- فقه اللغة ، عبد الواحد وافي ، ص : 185 .
- 38- يراجع : دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية (ط 6) ، 1991 ، ص : 46 .
- 39- دراسة لغوية لمفهوم الآية (أطروحة دكتوراه) ، محمد العيد رتيمة ، إشراف : د. جعفر دك الباب جامعة الجزائر .
- 40- معهد اللغة العربية و آدابها ، 1992-1993 ، ص : 198 .
- 41- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 101 .
- 42- دراسة لغوية لمفهوم الآية ، د. محمد العيد رتيمة ، ص : 200 .